


## دروس في الأخلاق السياسية

الدكتور محمد شقير

عدم الإحتجاب 

إن من يدرك الهدف من تصديه لشؤون البلاد والعباد ويرى في ذلك وسيلة لإحقاق الحق ورفع الظلم والإصلاح في الأرض فإن أعظم شهادة يقدمها على نيته هي عمله، لأن العمل هو الذي يجلي النفس ويظهر ما في القلب ويوح بما في مضمرات الفؤاد.

إن امرءاً في تصديه لشأن سياسي او عمل اداري امتثالاً لأمر الدين وخدمة لعباد الله المستضعفين لا بد الأ يكون محتجباً عنهم، فلا يقفل امامهم الأبواب ولا يحول بينه وبينهم توالي الحجاب. فمن كان هذا شأنه يجب ان يبذل نفسه للمستضعفين ولا يخلل بجهده لعباد الله المؤمنين، فاذا طلب منهم طالب رجاء منفعة أو قضاء حاجة فلا يتناقل عن قضائها ولا يتواكل في انفاذها ولا يمنعهم من الوصول اليه باب موصد.

ان ذوي الحاجة من المستضعفين عندما يقصدون والياً أو يأملون قادراً انما يكفيهم ذل السؤال وماء الوجوه فلا يتقبل عليهم بالاحتجاب، لانه يؤدي نفوسهم ويجرح شعورهم.

ان ادنى ما يقوله المحتجب باحتجابه انه لم يرد الله وانه اسير لهواه فمن اراد الخلق الالهي والوصف الرباني ينأى بنفسه عن الإحتجاب ويمتثل فعل رب الأرباب الذي وصفه الطاهرون بقولهم عليهم السلام والرضوان:

«وانك لا تحتجب عن خلقك...»

ان الله تعالى لا يحتجب عن خلقه إذ لهم عند ربهم حاجات وتسوقهم اليه الامال وفي هذا لطف بهم وهداية لهم فكيف نتصدى لشؤون الناس ونحتجب عنهم ولا نأبه بهم؟

لا ريب ان من يسعى لحمل أعباء الخلافة خلافة الله تعالى على الأرض كما قال عز وجل: «اني جاعل في الأرض خليفة» فإن المستخلف سيسعى ليمتثل فعل المستخلف وخلقه وليؤدي ما يرتضي صنعه وعمله، فإذا كان المستخلف لا يحتجب عن خلقه وهم ان ساقوا اليه امالهم وجدوه وإن نظروا إليه بعين الرجاء رأوه فكيف يحتجب المستخلف عنمن كانت خلافته من اجلهم.

ان الله تعالى «بابه مفتوح للراغبين» فمن يرغب في لقاء الله تعالى لا يجد بابه موصداً ولا حجاباً مسدلاً، بل هو تعالى يرغب عباده في لقائه ويدفع خلقه الى رؤيته (بعين القلب).

إن من يغلق بابه امام خلق الله كأنه لم يعرف خُلق مولاه، ومن لا يرغب في لقاء العباد لم تبلغ نفسه سامي الجهاد، ومن لم يرد أن يسمع من الناس شكائهم كيف يأمل بعدها هدايتهم؟

وقد تسول له نفسه انه إنما يفعل ذلك لأنه لا يسمح له عمله او لا يسنح له ظرفه ان يبذل من وقته وقتاً ومن جهده جهداً، وهذا في أغلبه من تسويل النفس الأمارة بالسوء التي إنما تفعل ذلك

رغبة بالتكبر وطلباً للتعزز وهي لا تدري انها بذلك يمجتها الله ويزدريها خلقه.  
إن من تجليات التواضع ان يبذل الوجه للناس ويعطي لهم طيب الكلام، ومن خير الأدب ان تنهى  
النفس الأمارة بالسوء التي إن طُلبت ترفعت وإن سُئلت منعت وإن قُصدت احتجبت لشح فيها  
وبخل يعتربها.

كم من امرىء طلب الإحتجاب ظناً منه أنه بذلك اثبات لنفسه واعلاء لشأنه، فكان حصاده ان  
بغض نفسه للناس واستجاب لهوى الخناس ولم ينل من الله قرباً بل ازداد عنه بعداً وبعداً.  
وقد يعتذر البعض بالضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، ولا تعطى أكثر من وزنها وهي ان صدقت يرد  
الطالب رداً لئناً ويحكيه الحاجب كلاماً هيناً، فلا يؤدي له كرامة ولا يخدم له مكانة.  
لكن اعلم ايها العزيز ان المسائل رسول الله اليك، أي ان الله تعالى قد جعل قضاء حوائج  
المستضعفين لدى عباده القادرين، وقدر حصول رغائب عياله لدى عباده من اصحاب القدرة  
والدين، وساق خلقه الى هؤلاء من عباده، فكأن الله تعالى أرسلهم اليك أوفدهم، فهم إذا ما  
طرقوا لك باباً، او رفعوا لك كتاباً فإنما هم رسل الله تعالى اليك ووفوده لديك.  
ايها الحبيب انما انت في عملك ذاك مستأمن، واداء امانتك ان تبذل جهدك وتناصب بدنك في  
ان تعطي للناس من حسن خلقك وطلاقة وجهك وطيب كلامك، يشير الإمام علي عليه السلام الى  
بعض من سيئات الإحتجاب فيقول (مخاطباً مالكا الأشر) «والإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما  
احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير» (1).

أي ان الإحتجاب عنهم سوف يحرمهم المعرفة بخلق الوالي وسجاياه وفضائله ومناقبه مما يؤدي  
- فيما لو كان صالحاً - الى خفاء قدره عنهم.

وفي جوهرة أخرى من جواهر علي عليه السلام يقول مخاطباً بعض عماله:

«ولا تحجين ذا حاجة عن لقائك بها» (2).

إذ ان صاحب الحاجة اعمى وإن حجبتك عنك وابعده منك سوف تحرم من بركات إجابته وتناك  
سيئات حجابيه.

وفيما لو قضت الضرورة ان يُحتجب لبعض من الوقت فينبغي الا يطول احتجابيه ولا يمتد غيابيه  
يقول عليه السلام:

«فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاية من الرعية شعبة من الضيق» (3).

فإنه يعني فيما يعنيه ضيق الولاية من الرعية وهو يؤدي حكماً الى ضيق الرعية بالولاية.

وفي كلام جميل له عليه السلام - وكل كلامه جميل - يقول:

«لا يكن لك الى الناس سفيرٌ إلا لسانك ولا حاجبٌ إلا وجهك» (4)

ايها الحبيب إن علياً عليه السلام يوصيك ألا تكثر الوسائط بينك وبين عباد الله فيوهمك الشيطان  
ان هذا اعلاء لشأنك فتكبر على بني جنسك، فليكن سفيرك اليهم لسانك اي خاطبهم مباشرة  
دون استعانة بكتاب او من وراء حجاب او بوسائط من الحجاب.

وابذل لهم وجهك وانسهم برؤيتك لأنك بذلك قد اطعت الله ونلت رضاه واقتديت بمحمد خاتم

النبيين صلوات الله عليهم أجمعين وذريته من الأئمة الطاهرين عليهم السلام أجمعين

الهمنا الله تعالى الهدى وجنبنا الضلال والردى

ء كما ورد في الحديث الشريف.

(1) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، ص412.

(2) م ن، ص413،

(3) م ن.

(2) 4 ن.